الاولى الى ليبريا ومكوثها هناك بعض الوقت قبل مجيئها الى اسرائيل اي عدم هجرتهم من الولايات المتحدة الى اسرائيل مباشرة اسوة بسائر اليهود ، بغرض الايحاء بان هجرتهم الى اسرائيل لم تأت من خلال ايمان مطلق او تصميم مسبق ، بل بفضل الصعوبات التي واجهتهم في ليبريا . الا ان العبرانيين السود يردون على هذا الايحاء وذاك التشكيك بردود تتسم في بعض الاحيان بالتحدي لما فيها من وخزات للمجتمع الاسرائيلي مثل قولهم : « اننا عشنا في ليبريا عيشة الصحراء ، لكي نتعلم كيف نعاني هنا » . ويفلسف « منشيه بن يسرائيل » احد أفراد الجالية قدومهم الى ليبريا ومن ثم مجيئهم الى اسرائيل بقوله : « لقد انتظرنا اكثر من ٤٠٠ عام لكي نصبح احرارا . اننا لا نحتاج فقط الى تحرير مادي ، بل ايضا الى تحرير روحي ، ولذا قررنا قبل المجيء الى اسرائيل المكوث في ليبريا وافريقيا في المكان الذي جلبنا منه كعبيد . وبعد ان طهرنا انفسنا هناك سمح لنا بالقدوم الى أرض الاباء »(١٩) .

يمتنع العبرانيون وبشكل ذكي عن خوض المواضيع السياسية التي تشغل بال الاسرائيليين ، ويحصرون حديثهم السياسي حول التمييز العنصري الذي يواجهونه سواء من قبل السلطات الاسرائيلية او المجتمع الاسرائيلي ، ويتهربون من الافصاح عن رأيهم حول القضايا السياسية الهامة او البت فيها ، ويغلفون تهربهم في بعض الاحيان بأمور دينية . ونلاحظ ذلك من خلال الاسئلة التي توجه اليهم واجوبتهم عليها ، فحول مدى استعدادهم للانخراط في سلك الخدمة العسكرية في اسرائيل ، يردون بالشكل التالي : « لماذا هذه الاسئلة ، كيف يمكن لك ان تتفهمنا . اننا جوعى وانت شبعان » او « اننا لم نعد الى بلادنا لكي نطلق النار ونقاتل » وكذلك الحال بالنسبة لمصير المناطق المحتلة فانهم يتهربون من الافصاح عن رأيهم تجاهها باعتبارها قضية سياسية ، اما اذا جوبهوا باسئلة حرجة ــ وكثيرا ما توجه اليهم ــ حول مدى استعدادهم للدفاع عن « أرض الاباء » فيتهربون ويغلفون اجابتهم بأمور دينية ، ونورد هنا نموذجا من الاسئلة الحرجة والاجوبة عليها .

« س : هل انتم على استعداد للدفاع عنها ( أرض الاباء ) ؟

ج : نحن ضد الحروب . ان الله هو الحامي .

س : واذا ما قام العدو بهجوم واراد احداث دمار وخراب ؟

ج : انه لن يمس اناسا مثلنا . فالله يقوم بحمايتنا »(٢٠).

ذكرنا سابقا ان السلطات الاسرائيلية اخذت تضع العراقيل امام العبرانيين السود وتحول دون حصولهم على عمل يقيهم غائلة الجوع ، وتطرد البعض منهم ، وتحول دون البعض الاخر من المجيء الى اسرائيل ، كما ان المجتمع الاسرائيلي سواء في ديموناه او خارجها ينظر نحوهم نظرة احتقار وازدراء مشفوعة بروح عنصرية . وفي مقابل ذلك تشبث العبرانيون بحقهم في المجيء الى البلاد بموجب قانون العودة ، وبلوروا مفاهيم جديدة على معتقداتهم وطعموها بمفاهيم الامة والشعب ، والسؤال الذي يتبادر الى الذهن كم يبلغ عدد افراد هذه الجالية في اسرائيل ؟ وهل باستطاعة هذا العدد ان يحدث هذه الضجة ؟

للوهلة الاولى يبدو ان الشق الاول من السؤال اسهل للاجابة ، الا ان العكس هو الصحيح ، فالمعلومات الواردة في المصادر الاسرائيلية حول عددهم متناقضة وليست دقيقة ، ففي حين تقدر بلدية ديموناه العدد بأنه يقارب الـ ٢٥٠ نجد بعض المصادر الاسرائيلية التي تتخوف من تكاثرهم وتطالب الحكومة بطردهم ، تبالغ في العدد وتدعي بأنه يناهز الألف ، وبعض المصادر الاخرى تدعي بتهكم انه يعادل الالفين من حيث الصخب والضوضاء ! بينما يدعي بعض الاسرائيليين المتذمرين منهم ومن تعذر وجود حل جذري وسريع لطردهم بأن الله فقط هو الذي يعرف عددهم ! اما العبرانيون السود